(١٦) عبد الله بن رواحه رضي الله عنه

إذا كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يطلق عليه شاعر الرسول ﷺ ، فإن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه هو أيضًا شاعر الرسول ﷺ، فكثيراً ما دافع عنه بقوله ولسانه وشعره البليغ الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه أشد على الكافرين من وقع النبل عليهم، ولم يجاهد ابن رواحة رضي الله عنه بلسانه فقط، بل جاهد بنفسه، وتولى قيادة الجيش حتى نال الشهادة في سبيل الله في غزوة مؤتة.

بين إسلامه واستشهاده عاش حياةً مع الرسول ﷺ مليئةً بالعلم والذكر، فقد كان يحب مجالس الذكر، وكان يقول لمن لقيه، هيا بنا نؤمن ساعة، وكان يحب أيضًا مجالس العلم، وكان عفيفًا تقيًا نقيًا كغيره ممن تربوا بتربية النبي ﷺ، وتخلقوا بأخلاقه.

***

هو أبو محمد، وهذه كنيته، أما اسمه فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري الشاعر المشهور.

تبدأ قصتنا معه مع بداية تعرفه على الإسلام، حيث أنه كان أحد الثلاثة والسبعين رجلاً الّذين شهدوا بيعة العقبة الثانية، وكان قد سمع عن الإسلام ذلك الدين الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق والعدل والإحسان، ونبذ ما سوى الله تعالى من معبودات، وسمع أيضًا عن رسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ رضي الله عنه ذلك الرجل الهاشمي القرشي، المعروف بصدقه وأمانته وعفته وطهارته وعقله الراجح، ولأن الله تعالى أعطاه عقلاً راجحًا، وقلبًا رقيقًا وجد أن الرجل صادق فيما يدعو إليه من فضائل، وأن الدين حق فيما يأمر به من فرائض ومبادئ.

دخل الإسلام كدين، ومحمد بن عبد الله ﷺ كرسول إلى قلب عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وذلك عن طريق مصعب بن عمير رضي الله عنه أول سفير في الإسلام، وكان الرسول ﷺ قد بعثه إلى أهل المدينة المنورة يعلمهم الإسلام، وينشره بينهم، ويفقههم في الدين، ويتلو عليهم القرآن الكريم.

***

شهد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بيعة العقبة الثانية، أيام التشريق[1] من موسم الحج قبل الهجرة بقليل. وبعد أن بايعهم رسول الله ﷺ قال لهم: «**اخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً[2] ليكونوا على قومهم**».

فكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه نقيب بني الحارث بن الخزرج، وحاز بذلك شرف حضور بيعة العقبة ونوال النقابة، لأنه كان كبيراً في قومه، سيداً في عشيرته، بل كان أحد القلائل الذي يقرأون ويكتبون.

وما هي إلا مدة قصيرة حتى أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة، ثم على الأثر هجرة الرسول ﷺ إليها. وقد خرجت المدينة كلها لاستقباله، وما أن دقت ناقته بأخفافها[3] أرض المدينة المنورة حتى تسابق الجميع إلى خطامها[4] كل منهم يريد أن ينزل رسول الله ﷺ عنده، حتى استقر في النهاية فيَ دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وبدأت دولة الإسلام في المدينة المنورة، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أحد رجالها، حيث أنه الشاعر المدافع عن الإسلام ورسوله، والشعر في ذلك الوقت كان يمثل الجهاز الإعلامي للجماعة أو القبيلة أو الدولة.

وعندما شُرع الجهاد في سبيل الله، وأذن الله لمن ظُلموا بأن يدافعوا عن أنفسهم، حمل ابن رواحة رضي الله عنه سلاحه مجاهداً في سبيل الله، ولم يترك مشهداً من المشاهد إلا وكان فيه بجوار رسول الله ﷺ، فكما نال شرف بيعة العقبة، نال شرف شهود بدر وأحد والخندق وصلح الحديبية وبيعة الرضوان، وفي النهاية نال الشرف الأكبر باستشهاده في معركة مؤتة كما سيأتي.

***

صحب عبد الله بن رواحة رضي الله عنه رسول الله ﷺ، وتخلق بأخلاقه، وتأدب بآدابه، ولهذا فلا غَرْو[5] أن يبعثه رسول الله ﷺ بشيراً إلى أهل المدينة بنصر الله

---

(1) أيام التشريق: الأيام الثلاثة بعد عيد الأضحى.
(2) نقيب: كبير القوم.
(3) أخفاف: جمع خُفّ، وهو قدم البعير.
(4) خطام: الحبل يلف حول رقبة البعير ليقاد به.
(5) لاَ غرو: لا عجب.

تعالى للمسلمين في بدر الكبرى، وأيضًا استخلافه على المدينة المنورة في غزوة بدر الثانية، كما لا غرو أن يكون صاحب زمام ناقة النبي ﷺ يقودها أثناء عمرة القضاء، وما كاد يدخل مكة ويبصر المشركين عن بُعد وهم يتركون مكة ثلاثة أيام حتى يفرغ المسلمون من أداء عمرتهم، حتى صاح بشعره مخاطبًا الكفار.

خلّوا بني الكفار عن سبيله ... خلّوا فكل الخير في رسوله

يارب إني مؤمن بقيله[1] ... أعرف حق الله في قبوله

والبيتان يعنيان أن يترك الكفار رسول الله ﷺ ينشر دعوته، ولا يقفون في سبيل نشرها، فالخير كله في الإسلام وتعاليمه وسنة رسوله ﷺ، ثم يؤكد على إيمانه بمحمد ﷺ، ويصدق أقواله، فالحق كل الحق في قبول ما جاء به.. وعندما سمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ما ينشده ابن رواحة رضي الله عنه، غضب وقال: يا ابن رواحة، أفي حرم الله، وبين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر؟! فيجيب الرسول ﷺ: «**خلّ عنه يا عمر، فو الذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل**».

وبينما المسلمون يطوفون بالبيت الحرام كانوا يرددون من شعر ابن رواحة رضي الله عنه:

يارب لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الكفار قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

وحينما يسمع عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مع غيره من شعراء الأنصار بنزول قول الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 224] يحزنون ويذهبون إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، ويقولون: يا رسول الله، قد علم الله حين أنزل هذه الآية إنا شعراء. فيتلوا عليهم الرسول ﷺ قول الله تعالى عقب الآية السابقة: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء: 227] وقال: أنتم ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الشعراء: 227] وقال: أنتم. ﴿وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [الشعراء: 227] وقال: أنتم.

ومن أخلاقيات الإسلام التي تخلق بها عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حب حضور مجالس العلم والذكر، فيقول عنه أبو الدرداء عويمر بن عامر رضي الله عنه: أعوذ بالله أن

(1) قيله: قوله.

يأتي عليّ يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة ، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثديي ، وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفي ، ثم يقول : يا عويمر ، اجلس فلنؤمن ساعة . فنجلس فنذكر الله ما شاء ، ثم يقول : يا عويمر هذه مجالس الإيمان .

ومنها امتثاله لأوامر الله تعالى ورسوله بمجرد سماعها ، ففي يوم كان في طريقه إلى المسجد فسمع رسول الله ﷺ يخطب ويقول : **اجلسوا** ، فجلس مكانه خارج المسجد على وضعه حين سمع الأمر ، فلما فرغ الرسول ﷺ من كلامه بلغه ما فعل ابن رواحة ، فقال له : زادك الله حرصاً على طواعية الله ، وطواعية رسوله .

ومنها ابتعاده عن ما حرم الله تعالى ، وعد له حتى مع من يبغضهم ، فبعد فتح خيبر أرسله رسول الله ﷺ إلى أهلها يحرز ويقدر ما على النخيل من ثمار ، ويقسمها بين المسلمين واليهود ، فإذا قالوا له : تعديت علينا . قال لهم : **إن شئتم ، فلكم وإن شئتم فلنا** أي هذا القسم . فيعجب اليهود من عدله . وذات مرة حاولوا أن يرشوه ، فقال لهم : **يا أعداء الله تطعموني السُّحت**[1] ، **والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ، ولأنتم أبغض الناس إليّ ، ولا يحملني بغض إياكم ، وحبي إياه على أن لا أعدل .**

إنها كلمات تحمل أعلى درجات العدل . العدل حتى مع الأعداء مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة : 2] فليس بغضه لليهود يحمله على ظلمهم ، وليس حبه لرسول الله ﷺ يحمله على الانحياز له ولجانب المسلمين ، بل العدل المطلق ، ولهذا قال اليهود له : بهذا قامت السموات والأرض . أي بهذا العدل . .

ومن ورعه وتقواه ، قالت زوجته عندما سُئلت عن حاله : « **كان إذا أراد أن يخرج من البيت صلى ركعتين ، وإذا دخل صلى ركعتين ، لا يدع ذلك** » .

ومن جهاده بلسانه ، قوله يصف رسول الله ﷺ :

لو لـم تكن فيه آيـات مبينـة ... كـانت بديهته تنبيك بالـخبر

وقوله :

وفينـا رسـول الله يتـلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانـا الهدى بعـد العمى فقلوبنا ... به موقـنات أن ما قـال واقـع

---

(1) السُّحت : المال الحرام .

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

بل إنه ذات يوم مر في المسجد النبوي ورسوله الله ﷺ جالس، وعنده أناس من الصحابة في ناحية من المسجد، فلما رأوه قالوا: يا عبد الله بن رواحة! فجاء إليهم. فقال له الرسول ﷺ: **اجلس ها هنا**. فجلس بين يديه، ثم سأله: **كيف تقول الشعر؟** فأجابه: أنظر في ذلك ثم أقول.

ثم أنشد

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسي ونصراً كالذي نصروا

فابتسم الرسول ﷺ في وجهه، وقال: « **وإياك فثبت**»

وكما جاهد بلسانه جاهد بنفسه حتى نال شرف الشهادة في سبيل الله، وذلك في غزوة مؤتة، أو غزوة الأمراء.

***

في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة جهز رسول الله ﷺ جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وبعثه إلى الشام لحرب الروم الذين اعتدوا على رسول رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه بالقتل، وكان قتل الرسل ممنوعًا، وأن القتل معناه إعلان الحرب، فكان لزامًا على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم، وأن يدفعوا عنهم خطر قادم محقق.

جهز الرسول ﷺ الجيش، وجعل عليه زيد بن حارثة رضي الله عنه قائداً، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثم إن أصيب فليرتضي المسلمون رجلاً منهم.

وعندما ودع الناس الجيش بكى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فسئل: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة[1] بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾

(1) صبابة: الشوق والرقة.

[مريم: 71] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ أي كيف الخروج منها بعد المرور عليها؟

ثم ودعهم المسلمون : صحبكم الله، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين.

فما كان من عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي تاق للشهادة وتمنى نوالها، وعلم ماذا أعد الله للمجاهدين والشهداء من منازل وعلم أيضًا فضلهم على من سواهم، ما كان منه إلا أن أنشد عقب هذا الوداع.

لكني أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فرغ تقذف الزَّبَدَا[1]

أوطعنةً بيدَيْ حَرّان مُجْهِزَةً ... بحربة تُنْفِذ الأحشاء[2] والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جَدثي[3] ... أرشده الله من غازٍ وقد رَشَدَا

والأبيات تعني أنه لا يريد الحياة، ولا أن يعود إلى أهله سالمًا، وإنه يسأل الله مغفرة ذنوبه، ويتمني ضربة قوية بالسيف تسيل دمه، أو طعنة برمح أو حربة سريعة القتل تنفذ إلى أحشائه، وتخترق أمعاءه وكبده، حتى إذا ما نال الشهادة ذكر بخير، وقالوا عند المرور على قبره، وفقه الله وأرشده إلى ما كان يطلبه، فنعم الغاز هو في سبيل الله.

وسار أبطال الإسلام، حتى إذا ما وصلوا إلى أرض العدو بلغهم أن هرقل ملك الروم قد جمع لهم قد جمع مائة ألف مقاتل، وقد انضم إليهم من قبائل العرب الموالية لهم مائة ألف آخرين، فصار عددهم مائتي ألف.

عند وصول هذه الأنباء إلى المسلمين تشاوروا فيما بينهم، أيواجهون مائتي ألف، وهم ثلاثة آلاف؟؟ إن ذلك يعني الفناء، وإلقاء النفس في التهلكة لأن المعركة غير متكافئة. وأقام المسلمون ليلتين يفكرون في أمرهم، ويتشاورون هل يكتبون إلى رسول الله ﷺ فيخبرونه بعددهم وعدد عدوهم، فإما أن يمدهم بالرجال والسلاح، وإما أن يأمرهم بأمره فينفذونه، أم يخوضون غمار هذه الحرب. . . قطع عبد الله بن رواحة رضي الله عنه هذه المشاورات والمحاورات، وشجع الجيش قائلاً: يا قوم، والله إن

---

(1) الزبَدَا: رغوة الدم.

(2) تنفذ الأحشاء: تخترقها.

(3) جدثي: قبري.

التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون - الشهادة- وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة.

فوقعت هذه الكلمات على قلوب الجنود برداً وسلاماً، وأزالت ما بها من رهبة وأنزل الله تعالى السكينة والشجاعة عليهم، فقالوا: في نفس واحد: صدق والله ابن رواحة، صدق والله ابن رواحة.

ثم سار جيش الإسلام ليواجه جحافل[1] الروم، فأخذ الراية زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل بها حتى سقط شهيداً، ثم حمل الراية من بعده جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقاتل حتى قطّعت السيوف يديه، ثم مزقت جسده، فنال الشهادة كأخيه من قبله، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وهزها وهو يصيح الله أكبر. الله أكبر. ثم تقدم نحو صفوف الأعداء، فتردد بعض الشيء، فحمس نفسه قائلاً:

يا نفـــس ألا تقتلي تموتي ... هذا حِمَام الموت قد صَليت

وما تمنيت فقــد أعطيت ... إن تفعــلي فعلـهما هديت

وإن نـــأخرت قد شقيت

إنه يخاطب نفسه، ويقول لها يا نفس إن لم تقتلي بالسيف متّي على فراشك، فها هو قضاء الله، والأجل المحتوم. يا نفس طالما تمنيت أن ترزقين الشهادة فها هي أمامك، فهلمي إليها كما فعل صاحبيك زيد وجعفر، فإنك إن فعلت ذلك هديت إلى الصواب، وإلا فقد كُتب عليك الشقاء.

ثم اقتحم الصفوف، واخترقها وهو يقول: يا نفس إلى أي شيء تتوقين؟ إلى امرأتي فهي طالق، إلى غلماني وعبيدي؟ فهم أحرار، إلى مالي؟ فهو لله ورسوله. ثم أتاه ابن عم له بعرق من لحم، وقال له: كُل هذا، وشد به صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت. فأخذه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وتناول منه شيئًا يسيراً، فلما ذاقه ألقاه من يده، وقال لنفسه: أنت في الدنيا؟!!، ثم هز سيفه وأخذ يضرب به الأعداء يميناً ويساراً حتى قتل شهيداً مقبلاً غير مدبر.

وفي هذه الأثناء كان رسول الله ﷺ يحكي لأصحابه، وهم جلوس في المسجد

(1) جحافل: جمع جحفل، وهو الجيش الكثير.

وقائع ما يجري في مؤتة . قال : **أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً** ، ثم صمت رسول الله فتغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بعض ما يكرهون . إنهم يريدون له شرف الشهادة كصاحبيه ، ثم قال رسول الله ﷺ : **ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً** . ثم صمت لحظة أخرى قال بعدها : **لقد رفعوا إلى الجنة على سُرُر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً[1] عن سريرى صاحبيه** ، فقال أحد الأنصار : عمّ هذا؟ فقال ﷺ : مضيا- أي زيد وجعفر- **وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى** .

فهنيئًا لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه جهاده مع رسول الله ﷺ ، وصحبته ، وهنيئًا له الشهادة ، وهنيئًا له بشراه بالجنة .

● **من فضائل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :**

١ - قال رسول الله ﷺ : « **رحم الله ابن رواحة ، رحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التي تتباهي بها الملائكة**» رواه الإمام أحمد ، وضعفه العلامة الألباني .

* * *

(1) ازورار : ميل وعوج .